

النجف الأشرف في ثلاث رحلات

(العهد القاجاري)

ترجمة وتعليق: الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي (*)

صدر مؤخراً عن مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، كتاب (العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه) وهو يضم بين دفتيه ترجمة لثلاث مشاهدات، قام بترجمتها الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي، وهي:

الأولى: محرم ١٢٧٣ - جمادى الثاني ١٢٧٣ هـ

أيلول ١٨٥٦ - كانون الأول ١٨٥٦ م

الثانية: ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م

الثالثة: ٢٣ شعبان ١٢٨٧ هـ

١٨ تشرين الثاني ١٨٧٠ م

ولأهميتها ودقة معلوماتها استلنا منها ما يخص مدينة النجف الأشرف مع الاحتفاظ بالأمانة العلمية للأستاذ الأسدي.

(١)

دليل الزائرين

عبد العلي خان (أديب الملك)

محرم ١٢٧٣ - ٥ جمادى الثاني ١٢٧٣ هـ

أيلول ١٨٥٦ - ١٨٥٦ م

تعريف موجز بالرحلة وصاحبها:

عبد علي خان (أديب الملك)، هو الابن الأكبر للحاج علي خان مقدم المراغي حاجب الدولة، وشقيق محمد حسن خان اعتماد السلطنة (صنيع الدولة)، وأمه بنت الملا أحمد المراغي، المعروف بـ (مستجاب الدعوة)، وُلد في ٥ شعبان ١٢٤٣ هـ في مراغة الإيرانية، عمل في صباه في خدمة البلاط الملكي في عهد محمد شاه القاجاري، وكان رفيق الصبا مع ناصر الدين شاه، وتدرج في المناصب والمواقع، وعندما تسلم ناصر الدين العرش الملكي أصبح أديب الملك من

(*) أديب، باحث، كاتب، مدير مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية - بغداد.

رجال العهد الناصري في إيران، وتولّى إدارة الحكومة في قم وسمنان ومراغة، وتقلّد عدّة مناصب أخر منها عدّة وزارات، وأصبح من رجال الدولة الكبار.

وكان أديب الملك شاعراً أيضاً، ومنحه ناصر الدين شاه لقب (أديب الملك)، بعد أن طلبه منه عبر بيتين من الشعر قدمهما إلى ناصر الدين شاه.

توفي أديب الملك في ٢٨ ذي الحجة ١٣٠٢هـ عن عمر ناهز الستين عاماً.

وقد ترجمت هذه المذكرات على الطبعة الأولى للكتاب باللغة الفارسية الصادرة سنة (١٣٦٤) الهجري الشمسي، الموافق لسنة ١٩٨٤م التي عني بتصحيحها مسعود كلزاري.

قام المؤلف برحلته هذه وهو ابن ثلاثين سنة، مبتدئاً فيها انطلاقاً من طهران والعودة إليها، واستغرقت حوالي الستة أشهر، فقد شرع بالحركة من طهران في ١٤ من شهر محرم الحرام ١٢٧٣هـ، وعاد إليها في شهر جمادى الثاني سنة ١٢٧٣هـ.

وفيما يتعلق بالجزء الخاص بالعراق، فلم يسجل المؤلف تاريخ دخوله الأراضي العراقية من خايقين، بل سجل تاريخ حركته من كرمانشاه وهي محددة لخايقين، فكان تاريخ حركته منها في اليوم الأخير من شهر محرم الحرام سنة ١٢٧٣هـ، وعلى هذا الأساس فإن دخوله العراق سيكون حسب التخمين في نهاية الأسبوع الأولى من شهر صفر من نفس السنة.

بعد أن وصل إلى بغداد وزار الإمامين الكاظمين (عليه السلام) ثم كربلاء، وبعدها توجه إلى النجف الأشرف.



عبد العلي خان أديب الملك

النجف الأشرف

١٧ ربيع الثاني ١٢٧٣ هـ

الحركة من كربلاء إلى النجف الأشرف

قمت بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وذلك قبل طلوع الفجر من يوم السابع عشر من ربيع الثاني، مستأذناً إياه بالسفر، ثم خرجنا وركبنا خيولنا مع المرافقين، وبعد مضي ثلاث ساعات من النهار وصلنا إلى (المقدم) التي يسميها العرب من كثرة الاستعمال بـ(مجدم). حيث تبلغ المسافة بينها وبين باب النجف في كربلاء ثلاثة فراسخ.

عندما تخرج من الباب على بُعد مسافة خمسمائة قدم يوجد مسجد اشترى أرضه الميرزا نصر الله الصدر الاردبيلي أيام حياته، وأشاد السيد كاظم مسجداً عليها، وبعد وفاة الحاج ميرزا آقاسي دُفن في هذه الأرض إلى جوار أستاذه ومعلمه الآخوند الملاً عبد الصمد الهمداني، وعندما علم المرحوم الميرزا نصر الله بدفن الحاج ميرزا آقاسي في تلك الأرض، قال إن المالك الشرعي لهذا المكان هو أنا، ولست راضياً بدفن الحاج آقاسي هناك، وبقي مُصرّاً على هذا الموقف، حتى تم نبش قبره واستخراج عظامه ودفنها في رواق مرقد سيد الشهداء (عليه السلام) في مكان يقابل الجهة العليا من منزل السيد سعيد، ولست أدري هل حصل ذلك بسبب حسن عاقبة الميرزا آقاسي، أم بسبب بخل الميرزا نصر الله؟

المركب الشراعي:

وعند وصولنا إلى مجدم طلبت من المرافقين أن يكتروا لنا مركباً شراعياً (طرادة)، وجلسنا نحن عند شاطئ النهر لتناول طعام الغداء لحين اكتمال المركب، وتم ذلك، فنقلنا أمتعتنا إلى الطرادتين، وركبت أنا والمرافقين في مركب، أما الخدم فقد ركبوا المركب الثاني.

لقد كان وصولنا إلى المكان في وقت لم يكن فيه الزوار قد توافدوا بكثرة بعد، ولذلك فقد اقتنع ربان الركب بأجرة تومان واحد لكل مركب، لكن قبل الحركة بدأ الزوار يتوافدون بكثرة ملحوظة، فأنكر الربان أن يكون قد اتفق معنا على المبلغ المذكور، ورفض أن يتحرك، فعالجنا الأمر في البداية باللسان الناعم وتقديم الوعود بإعطائه مكافئة بعد الوصول، لكنه بقي مُصرّاً على عدم الحركة، فرأينا أن الأمر لا يمكن معالجته باللين، فأغلظنا معه القول وهددناه، فانصاع على مضض، ولكنه هددنا بالقول بأنه سوف يغرقنا في بركة النمرود، فلم نعر لتهديده أي اهتمام، وجلسنا في المركب هادئي البال.

جسر طويريج:

وعندما وصلنا إلى جسر طويريج أوقفنا المركبين عند الجسر ويبدو أن رباني المركبين كانا يخططان لعمل سيء، وكنا نشاهد عدداً كبيراً من الجند هناك، فقفز الربانان من المركبين وذهبا

إلى مالك المركبين وأخبراه بأننا أجبرناهما بالتهديد على استئجار المركبين، وفي بداية الأمر أبدى مالك المركبين عنفاً في تعامله معنا، ولكنه بعد أن عرف أننا من خدام السلطان، أبدى نوعاً من اللين واللطف، وقال: أنتم زوار ومن غير المناسب لكم أن تأخذوا المركب بالقوة، فقلنا إننا استأجرنا المركبين، وإننا وبسبب اعتقادنا بأنه يستحق الأجرة فقد بقينا جالسين في المركب، وخالصة القول إذا أردت أن يكون الكلام على حسب الشرع فحاكم الشرع موجود، أما إذا أردت أن يكون الكلام على أساس العرف، فحاكم المدينة موجود، وانجر النزاع بين المرافقين لي وبين عمال مالك المركب إلى الذهاب إلى حاكم المدينة، وعندما عرف الحاكم من أكون، اتخذ أشد الإجراءات ضدهم، فقد فرض عليهم الطرائب، وأمر بفتح الجسر فانطلق المركبين يسيران بسرعة كأنهما حصان عربي أصيل بسبب ملائمة الريح لهما، وكان ذلك مدعاة لسرورنا.

وعندما وصلنا إلى وسط (بركة نمروود)، شاهدنا طيوراً تسبح فيها وحجم الواحد منا بحجم الحروف لا يتحرك حتى ولو أطلقنا الرصاص.

وتقع بركة النمروود إلى جانب تلة تسمى بـ(تلة النمروود)، وكان قصر النمروود مبنياً فوق هذه التلة، واليوم نشاهد هناك برجاً مبنياً فوق التلة، ويأتي بعد هذا المكان مكان آخر اسمه مكان ناقة صالح.

وبعد عبورنا من هناك مررنا بمنطقة مبنية بيوتها من القصب على الجانبين، وهناك ترجلنا من المركب لأداء الصلاة، فوجدنا بين البيوت مقهى، فصلينا، وقدم لنا صاحب المقهى قهوة جيدة لم يسبق لي أن شربت مثلها في البلاد العربية، ثم دخنا الأريكة، وبعدها تحركنا.

كان الأطفال على جانبي النهر يركضون خلف المركب عراة من الرأس إلى القدمين، وهم بصيحوهم (تمر يا زائر علي) ^(١)، فكنا نلقي إليهم التمر قبضة قبضة، فيلتقطونه ويعاودون الركض فيصلون إلى المركب من جديد ويكررون القول (تمر يا زائر علي)، ومضينا على هذا الطريق، وجاءت مجموعة أخرى من الأطفال وتكرر الحال معهم، حتى وصلنا إلى مكان وجدنا فيه العرب مجتمعين حول بعضهم، وأمامهم حوالي الثلاثمائة من طيور الماء الحية مربوطة الأرجل يبيعون الواحدة منها بمئة دينار ^(٢)، ففترجنا عليه وألقينا عليهم التمر.

(١) طبعاً هذا من الأمور الغريبة، فالمناطق التي كانوا يمرون عليها في الطريق النهري هي مناطق بساتين تنتشر فيها النخيل، طلب الأطفال للتمر لا يتناسب مع وفرة التمر في تلك المناطق، ولعلهم كانوا بهذا القول يدعون الزائرين لشراء التمر منهم، ولكن يبدو أن صاحب المشاهدات لم يدرك مغزى صياحهم ذلك فتخيله أنهم يطلبون منه التمر.

(٢) مئة دينار هي بالعملة الإيرانية من أجزاء الريال.

وبعد عبورنا من هناك حلّ وقت المغرب، حيث الاستراحة ورفع التعب، فتم إشعال السماور وغلي الماء فيه، ودارت بنينا أقداح الشاي حيث تناول كل واحد منا ثلاثة أقداح، ونسينا كل ما لدينا من الهموم، وأثيرت المصابيح وكان الجو ساحراً في صفائه وهدوئه وهو أمر لم أشهده طيلة حياتي، وبسبب الظلام الدامس لم نلحظ عبورنا ذي الكفل، ووصلنا إلى مقدم مسجد الكوفة، فنزلنا هناك، وقضينا بقية الليل في مقهى مبنية من القصب.

لقد استغرق الوقت الذي قطعنا فيه مسافة ثمانية فراسخ سبع ساعات بضمنها وقت التوقف للصلاة مع عدم وجود الرياح المناسبة للحركة وهذا زمن قياسي لم يتحقق من قبل.

الوصول إلى مسجد الكوفة:

وبعد أدائنا لصلاة الصبح وتناول الشاي، جاء إلينا فتح علي بن محمد إبراهيم فراش الحضرة، ولم تمض سوى دقائق حتى وصلت الحيوانات والحمير التي جاء بها فحملوا الأمتعة عليها، وأخذوها إلى مسجد الكوفة، أما رباني الركبين فقد أعطيناها الأجرة المتفق عليها وأعطيناها هدايا وتحديثاً بلطف ومحبة معهما، وتحركنا مع المرافقين نحو مسجد الكوفة، وقرأنا إذن الدخول، ودخلنا.

مسجد الكوفة:

تبلغ المسافة من المقدم (المجدم) حتى مسجد الكوفة ألفي قدم، وعندما تدخل يوجد هناك رباط يستخدم للحيوانات والمكارين، ويقع على يسار الداخل صحن صغير يقع في أحد جوانبه حوض ماء وبئر حيث يدخل الزائرون إلى المسجد بعد الوضوء، وفي الطرف الثاني يوجد حمام بناه بحر العلوم^(١)، وهو يعمل لحد الآن، وهو مفتوح على الدوام من أجل الغسل والتطهير.

(١) هو السيد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد الحسيني المعروف ببحر العلوم الطباطبائي يرجع نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولد في كربلاء في (شوال ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م) وتوفي في النجف سنة (١٢١٢ هـ / ١٨٩٨ م) ودفن بالقرب من قبر الشيخ الطوسي، وقبره معروف لحدّ اليوم.

قرأ مقدمات العلوم الدينية على والده في كربلاء وعلى الشيخ يوسف البحراني، وفي سنة (١١٦٩ هـ / ١٧٥٦ م) انتقل إلى النجف لتحصيل العلم فدرس عند الشيخ مهدي بن بهاء الدين محمد الفتوني العاملي، والشيخ محمد تقي الدورقي، ثم عاد إلى كربلاء فدرس عند الوحيد البهبائي الشيخ محمد باقر، ثم عاد إلى النجفي وأقام بها حتى وفاته.

كان إلى جانب اجتهاده في الفقه والأصول أديباً بارعاً وشاعراً أيضاً، كان يحب الشعر وإنشاده حيث كان يستنشد الشعراء بحضوره ويعطيهم الجوائز، وكانوا بعض الأحيان يحكمونه في خصوماتهم الشعرية.

وخرج الكثير من العلماء كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف والسيد جواد العاملي والسيد محمد علي الأعسم والشيخ حسن نصار، والشيخ أسد الله الكاظمي، وكل هؤلاء فقهاء وأدباء.

وفي سنة (١١٨٦ هـ / ١٧٧٣ م) سافر لزيارة مرقد الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان وبقي هناك سبع سنين فلقبه الميرزا مهدي الخراساني ببحر العلوم فصار لقباً له ولأسرته من بعده، ترك العديد من المؤلفات، عداها صاحب أعيان الشيعة اثنان وعشرين كتاباً وأشهرها كتابه في الرجال المعروف بـ«رجال السيد بحر العلوم».

أصل المسجد يبلغ طولاً مائة وخمسون قدماً وعرضاً مائة وثلاثين قدماً، وتنتشر الحجرات على الأطراف الثلاثة الأخرى من المسجد، حيث يستخدمها الزائرون للاستراحة والمبيت. وفي وسط المسجد يوجد سرداب يعرف بـ(بيت الطشت)^(١)، ويسكن أصحاب الرياضات الروحية هذا السرداب في الصيف، وحول كل مقام صنعوا مصطبة مرتفعة عن الأرض قليلاً وهي مبنية من الآجر وفيها محراب للصلاة، وقام تقي خان اليزدي بنصب لوح في كل مقام هو من أنفس أنواع المرمر، خُط على كل لوح اسم المقام وهو بخط الميرزا عبد العلي النواب، وفي جهة القبلة يقع مسجد آخر ليس فيه غرف أو حجرات، أما الأضلاع الثلاثة الأخرى ففيها خمسة وسبعون غرفة، ولكل غرفة باب، وعندما تدخل من جهة اليسار يوجد طريق من وسط المسجد يفضي إلى صحن آخر بناه النواب الهندي، وعندما تدخل إلى هذا المسجد يقع في جهة اليمين، المتصلة بالمسجد مقدم مسلم بن عقيل وعلى القبر صندوق من الخشب، وحوله شباك من النحاس، ويقع في جهة اليسار من الضلع المتصل بالمسجد أيضاً مرقد هاني بن عروة، وقبره مبني بالآجر ولم يتم أحد لحد الآن ببناء صندوق أو شباك، وعلى بعد أربعين قدماً من هناك في نفس الصحن يقع قبر المختار الذي عثر عليه السيد كاظم^(٢)، فقد وجدوا لوحاً عليه كتابة عرفوا منه أنه قبر المختار، وهناك أيضاً غرف مبنية، وجدار هذا المسجد مرتفعة متصلة بجدار مسجد الكوفة، بحيث يظن الرائي من الخارج أن المكان واحد.

وفي مدخل البوابة الرئيسية لمسجد الكوفة توجد منارة، أما ارتفاع جدار المسجد فهو بمقدار اثنا عشر ذراعاً، وباستثناء الجدار الواقع في جهة القبلة، فليس هناك من أبنية أثرية أخرى، فهي كلها من البناء الجديد ويتضح ذلك من خلال ضخامة وسعة حجم الطابوق المستعمل في بنائه فهو لا علاقة له بالطابوق المستعمل هذه الأيام.

عمود الرخام:

وفي وسط المسجد ينتصب عمود من المرمر، وضع هناك من أجل معرفة وقت الظهر، وارتفاعه حوالي ثلاثة أذرع، والمشهور بين عوام الناس أن من يستطيع احتضان هذا العمود

(١) لقد طُمر ودُفن هذا السرداب في العمارة الأخيرة لمسجد الكوفة سنة ٢٠٠٦م وكُست أرضية المسجد بالمرمر الأبيض.
(٢) يقصد به: السيد كاظم اليزدي بن السيد عبد العظيم الطباطبائي (١٢٤٧هـ - ١٣٣٧هـ)، الفقيه الكبير والمرجع المعروف، ولد في يزد، ودرس فيها وفي أصفهان ثم هاجر على النجف سنة ١٢٨١هـ وتخرّج فيها على الشيخ مهدي كاشف الغطاء الشيخ راضي النجفي والميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، نال المرجعية العليا، بنى مدرسة علمية في النجف الأشرف تعرف باسمه وهي من أفضل المدارس، ومن أشهر كتبه كتاب العروة الوثقى في الفقه، وعلّق عليه وشرحه أغلب العلماء الكبار من بعده، توفي السيد اليزدي سنة ١٣٣٧هـ ودُفن في النجف الأشرف في الصحن العلوي الشريف في الحجرة المرقمة (٤٧)، المقابلة لإيوان العلماء، وتطل على جامع عمران بن شاهين المعروف.

بحيث تلتقي أطراف أصابع يديه من الجهة الأخرى فهو ابن حلال، وأكثر الناس الذين يدخلون إلى المسجد يأتون لاحتضان هذا العمود، ومن يمتلك منهم ذراعين طويلين فهو محظوظ، أما من لا يستطيع احتضان العمود فيذهب كسيفاً خجلاً مهموماً.

المقامات الاثنا عشر:

المقام الأول: العمود الرابع، وهو مقام إبراهيم عليه السلام، ويستحب فيه الصلاة ركعتين مع الدعاء.

المقام الثاني: ويقع في وسط المسجد، وهو المشهور باسم مقام النبي (ﷺ)، والصلاة فيه ركعتين مع الدعاء.

المقام الثالث: العمود السابع، وهو مقام آدم عليه السلام، وفيه الصلاة أربع ركعات مع الدعاء.

المقام الرابع: العمود الخامس، وهو مقام جبرائيل والإمام الحسين عليه السلام، وفيه الصلاة ركعتين مع الدعاء.

المقام الخامس: العمود الثالث، وهو المعروف بـ(دكة السجاد) عليه السلام، والصلاة فيه ركعتين مع الدعاء.

المقام السادس: ويقع في جهة القبلة وهو مقام أمير المؤمنين عليه السلام، والصلاة فيه أربع ركعات مع الدعاء.

المقام السابع: وهو محراب ومصلى أمير المؤمنين حيث أستشهد هناك، والصلاة هناك ركعتان مع الدعاء، ومناجاة أمير المؤمنين.

المقام الثامن: دكة الإمام الصادق عليه السلام، والصلاة فيه ركعتين مع الدعاء.

المقام التاسع: دكة قضاء أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، والصلاة فيها ركعتين مع الدعاء.

المقام العاشر: بيت الطشت وفيه الصلاة ركعتين مع الدعاء.

المقام الحادي عشر: مقام الخضر عليه السلام، وفيه الصلاة ركعتان مع الدعاء^(١).

وبعد إتمام الأعمال والصلاة والزيارة زارنا محمد إبراهيم أرباب فرّاش الحضرة ومعه ولداه

الشيخ محمد حسن الشيخ أبو السن، فأدخل السرور على قلبنا بزيارته.

قضينا تلك الليلة هناك، وفي الصباح الباكر نهضنا وأدينا الصلاة والزيارة، وهنا وصل موفد

أحمد أفندي حاكم النجف، ومعه فرسين مزينتين بزينة عربية جميلة، وعندما خرجنا من باب

(١) ذكر المؤلف في العنوان أن هناك اثنا عشر مقاماً ولكنه في المتن لم يذكر سوى أحد عشر مقاماً.

المسجد قالوا أن بيت أمير المؤمنين يقع خلف المسجد، فقررت زيارة الدار المباركة.

كان باب الدار في السابق يُفتح من داخل المسجد من جهة جدار القبلة، ولكنه الآن أصبح يُفتح من خارج المسجد، سيما وأن هذه الدار ليست بالقديمة، ولكن أصل الدار قديم ولكنهم غيروا الباب، وقد جدد المكان محسن خان الخراساني، وهناك اليوم شخص خراساني يقوم بالخدمة في تلك الدار، وإلى الآن يعرف مكان الباب القديم.

عندما تدخل من الباب الحالي، هناك غرفتان وباحة صغيرة وبئراً فيه ماء، وممر ضيق، وعندما تدخل إلى باحة الدار المباركة وتقف باتجاه القبلة، يقع على اليسار بهو كبير فيه غرفة صغيرة، وعلى يمين الداخل يقع بهو أصغر، ومن أحد أضلاع هذا البهو تدخل إلى غرفة، ثم فسحة تُفضي إلى غرفة أخرى للصلاة، وفي وسط هذه الفسحة توجد دكة تم بناءها من الآجر والجص، والمشهور أن الأمير عليه السلام تم غسله على هذه الدكة، وفوق هذه الفسحة أشادوا قبة من المقرر إكساؤها بالقاشي ولكنهم لم يفعلوا ذلك على الرغم من وجود القاشي هناك.

بعد زيارة البيت المبارك ركبنا ومعنا المرافقون، وتقدم أمامنا حاملي البنادق العرب، ورجال التشريفات الذين أرسلهم حاكم النجف، وركب معنا فراش الحاضرة مع ولديه، وتقدمنا نحو النجف، ونحن على هذه الهيئة من الأبهة والعزة والجلال.

الطريق من الكوفة إلى النجف:

تبلغ المسافة من مسجد الكوفة إلى النجف الأشرف فرسخاً ونصف الفرسخ، ولكنه طريق مخيف بسبب غارات القبائل البدوية، وقد أقاما أبراجاً تبعد الواحد عن الآخر مسافة خمسمائة قدم، حيث يقوم المسلحون الموجودون في هذه الأبراج بإطلاق النار على اللصوص كلما حاولوا القيام بسرقة أموال الناس.

سرنا بهذه الحالة من الأبهة والجلالة حتى وصلنا إلى بوابة النجف، وفي خارج البوابة كان هناك مكانين لسقاية الماء ومقهى واحد، كان الجنود يقفون خارج البوابة وبأيديهم البنادق، لاستلام الأسلحة من الناس الوافدين، وقمت أنا وطبقاً للقانون بتسليم أسلحتنا، وذهبنا مباشرة إلى منزل فراش الحاضرة حسب الوعد الذي أعطيناه إياه عندما كنا في كربلاء.

شرف زيارة أسد الله الغالب:

وبعد الوصول إلى منزل محمد إبراهيم أرباب، جاءنا السيد سليمان سركشيك، ومعه عدد من رفاقه، فتم الاتفاق معه على أن يقوم هو بقراءة الزيارة لنا، وكان له ابن يبلغ الثانية عشرة من العمر له صوت كصوت الملائكة، وبعد تناول القهوة، والأريكة ذهبت مع المرافقين إلى

الحمام فاعتسلنا غسل الزيارة، وخرجنا من الدار نحو الصحن المبارك، وعندما وصلنا إلى باب الصحن المبارك، أخذت من غبار الباب ومسحت به على عيني، وقرأنا أدعية الدخول، ووصلنا إلى محل نزع الأحذية (الكيشوانية)، ثم انتقلنا إلى الإيوان فوقفنا هناك وأنشدت قصيدة.

بعدها قرأ السيد سليمان سرکشيك إذن الدخول، فقبلت عتبة الباب ودخلنا من الباب الأول ووقفنا في الرواق، وقرأنا إذن الدخول مقابل باب الضريح، وهناك أيضاً أنشدت قصيدة أخرى، ثم دخلنا إلى البقعة المطهرة، فوقفنا في مقابل الرأس الشريف وزرنا وطفنا، ودعونا، وبعد أداء صلاة المغرب عدنا إلى المنزل، فوجدت الأغا محمد إبراهيم قد أعد لنا عشاء، وبعد تناول العشاء نمنا عملاً بالحديث المأثور أن النوم في النجف الأشرف يعادل عبادة سبعمائة عام مقبولة، وشكرنا الله على ذلك (اللهم أرزقني زيارة علي بن أبي طالب عليه السلام).

الأشخاص الذين رأيناهم في النجف الأشرف:

بعد أسفر الصبح، استيقظنا من النوم، استعداداً لاستقبال الذين شرفونا بزيارتهم، وهم أولاً الحاج عبد الأحد - شيخ الإسلام مراغة، والآقا علي القاضي، والآقا عبد الجواد، فتناولنا معهم القهوة والأركيلة، وبعدهم جاء أحمد أفندي حاكم النجف، السيد رضا الكلیدار^(١)، ثم جاء سائر خدام الروضة الحيدرية، ثم جدد السيد سليمان سرکشيك اللقاء، وكذلك زارنا السيد جعفر الخراساني، كما زارنا السيد علي المجتهد^(٢) - حفيد السيد بحر العلوم - والسيد عبد الغفور اليزدي^(٣)، والحاج حسين شمه أي - سرکشيك -، والحاج محمد خان باغميشه أي،

(١) السيد رضا الرفيعي الكلیدار، أول سادن للروضة العلوية من عائلة السادة آل الرفيعي، وسيأتي الحديث عنه في هوامش الصفحات اللاحقة في رحلة ناصر الدين شاه عند زيارته إلى النجف الأشرف.

(٢) السيد علي بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم (... - ١٢٩٨ هـ) فقيه، أصولي بارع، وأدب معروف، تتلمذ فقهاً على الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وفي الأصول على الشيخ الملا مقصود علي، ألف العديد من الكتب ومنها (الرهان القاطع على كتاب النافع) في ثلاث مجلدات، وقام بتوزيع خيرة الهند (أودة) بعد الشيخ مرتضى الأنصاري، وتوفي في النجف الأشرف عند وباء الطاعون الأصغر.

(٣) الشيخ عبد الغفور بن المولى محمد طاهر بن المولى محمد صادق، عالم بارع، من أحفاد العالم الحكيم الأردستاني الشهير، قال عنه الشيخ أغا بزرك الطهراني في نقباء البشر، أنه أدرك هذا القرن (يقصد القرن الرابع عشر الهجري)، تنبه إلى أن صاحب الرحلة اشتبه في التعريف بالأشخاص في عدة مواضع من رحلته، فهو يصف السيد بالشيخ، والشيخ بالسيد اشتباهاً.

واستمر مجيء هؤلاء الأشخاص إلى اليوم الثالث من وصولنا إلى النجف الأشرف.

أشخاص آخرون:

في اليوم الرابع أرسل العالم العارف وزبدة مجتهدين وقدوة المحققين، ملجأ الأنام وحجة الإسلام الشيخ مرتضى^(١) سلمه الله تعالى، أخاه لزيارتنا وتفضل علينا بذلك، فأبدى الشيخ اعتذاره بأن جناب الشيخ لا يزور أحداً، وقد قال حقاً، وجاء بعده أفضل الفضلاء وأعلم العلماء فخر المجتهدين، وشيخ العارفين، الشيخ مهدي^(٢)، سلمه الله تعالى، وهو حفيد المرحوم الشيخ جعفر، وهو المرشح بعد الشيخ مرتضى.

وبعد تناول القهوة والأريكة، وكان الوقت عصراً، فأمرت بجلب الشاي لوحيد العصر ولكن الخدم غفلوا عن تغيير (القوري) و(القندان) اللذان كانا من الفضة، وعندما أخذ الشيخ الفنجان رفع الملعقة، وقال: أهذه فضة؟، فقلت وأنا غافل عن الموضوع: نعم.

(١) الشيخ مرتضى الأنصاري: هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين بن أحمد بن نور الدين بن محمد صادق الأنصاري، وُلد سنة ١٢١٤ هـ وهو نادرة دهره ووحد عصره، فقيه أصولي بارع، لا زالت كتبه تُدرس في الحوزات العلمية في العراق وإيران، وزاهداً تقياً ورعاً يُضرب به المثل في زهده، هاجر إلى النجف وهو ابن عشرين عاماً، ودرس عند فطاحل العلماء كالسيد محمد المجاهد وشريف العلماء المازندراني، وعند محاصرة داوود باشا والي بغداد العثماني لكربلاء سنة ١٢٤١ هـ خرج مع من خرج من العلماء إلى الكاظمية المقدسة، ومنها عاد إلى موطنه الأصلي دزفول، وبعد سنتين عاد إلى كربلاء واستمر بالحضور على شريف العلماء، وبعد سنة ذهب إلى النجف الأشرف، فدرس عند الشيخ موسى كاشف الغطاء حدود السنتين، ثم سافر إلى خراسان، ومنها إلى كاشان فحضر عند الشيخ أحمد النراقي، ثم عاد إلى خراسان ومنها إلى أصفهان، ثم خرج منها، وعاد إليها بعد مدة، ثم ذهب إلى دزفول ومكث سنين، ثم هاجر إلى النجف في ١٢٤٩ هـ وبعد وفاة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر سنة ١٢٦٦ هـ انتهت الرئاسة إليه، وتخرج على يديه جيلٌ من أكابر العلماء والفقهاء، له كتاب المكاسب وهو أشهر كتبه، وله غيره كثير من الكتب والرسائل، توفي الشيخ في داره بمحلة الحويش في النجف الأشرف في منتصف ليلة السبت ١٨ جمادى الثانية سنة ١٢٨١ هـ للمزيد انظر: معارف الرجال: ج ٢، ص: ٣٩٩-٤٠٤، وغير ذلك من المصادر وهي كثيرة.

(٢) الشيخ مهدي كاشف: هو الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ولد في النجف سنة ١٢٢٦ هـ عالم كبير وزعيم مطاع، انتهت إليه الرئاسة بعد وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري سنة ١٢٨١ هـ ولما انتهت إليه المرجعية وسع في العطاء على طلاب العلوم الدينية خصوصاً المهاجرين منهم من البلاد البعيدة، كما تولى توزيع خيرية أودة الهندية في النجف الأشرف، وكان أديباً يجتهد نظم الشعر وله مساجلات شعرية مع الشاعر عبد الباقي العمري، انشأ مدرسة علمية تقع مقابل مرقد الشيخ الطوسي في النجف تعرف بـ(مدرسة الشيخ مهدي)، ومثلها مدرسة في كربلاء، توفي ليلة الثلاثاء ٢٣ صفر من سنة ١٢٨٩ هـ للمزيد: راجع معارف الرجال: ج ٣، ص: ٩٨.....

فقال: هاتوا المطرقة والسندان وأخبروا الطلبة المقيمين والمسافرين للحضور هنا، وأخذوا الطلبة الحاضرون يجرضونه ويشجعونه على كسره، وهنا التفت الآقا محمد إبراهيم على الشيخ وقال: شيخنا إن أديب الملك من ثقة أهل الشريعة ومن النجباء، وهو يعلم إن استخدام الفضة حرام وهو على الدوام يقرأ رسالتكم، لكن هذه الفضة يعتبرها من المظاهر والزينة. ولم نستطع أن ننقذ ذلك القوري والقندان الفضيان من التهشيم إلا بعد استعمال آلاف الحيل والأدلة وبيان الأسباب.

وقد نقل لي الشيخ محمد إبراهيم، أن هذا الشيخ العظيم حضر في مجلس آصف الدولة، وحطم من أثاث آصف الدولة ما يعادل أربعة آلاف تومان. وفي اليوم التالي، زارنا الميرزا محمود ابن شيخ الإسلام في تبريز، وبيوك آقاي التبريزي، ومحمد علي خان سرتيب، والسيد صفى القمي المدرس، والحاج الملا جعفر مجتهد الطهراني، والحاج السيد محسن نائب الكلدار.

زيارتنا للشيخ الأنصاري وبعض الأشخاص:

كانت أمنيته الكبيرة هي أن أحظى بشرف اللقاء بفخر المجتهدين وقدوة المحققين الشيخ مرتضى سلمه الله تعالى^(١).

وكنت قد سعيت كثيراً من أجل تحقيق ذلك، حتى جاء شقيقه موفداً من قبل الشيخ لزيارتنا، وقد طلبت منه أن يهئ لي فرصة اللقاء فعين لي إحدى الليالي موعداً، فانبسطت أساري من البهجة والسرور، ولما حلت الليلة الموعودة، تحركت ومعني أصدقائي المقربين، وهم: طرفة خازن الأشعار، والسيد نصر الله، ولما وصلنا وجدنا أن الدار تقع في زقاق ضيق ومظلم، فوضعنا المصباح الزيتي (الفاNos) في الغرفة، وعندما جلسنا، شاهدنا أن الغرفة مفروشة بالحصير، ولما دخل علينا الشيخ انتهت لحظات الانتظار، فأعطانا يده بدون ممانعة فقبلناها وقبلنا وجهه أيضاً.

قلت له: إن التشرف بخدمتكم هو منتهى سعادتي.

فقال: صحيح، ولكن لا تطلبوا مني زيارة أحد.

قلت: ولكن بعد هذا الشرف أين أجيء لخدمتكم.

قال: أنا آتي إلى الحرم من أجل إقامة صلاتي الظهر والمغرب.

قلت: إن حاجب الدولة^(٢)، مقلدكم وهو من المحبين لكم.

(١) المقصود به الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره).

(٢) حاجب الدولة هو والد صاحب المذكرات أديب الملك، وقد قضى وقتاً من حياته حاكماً لخوزستان.

قال: إنه من المخلصين ومن المتعاهدين معنا.

فقلت: إنه يسألكم الدعاء.

قال: الله يشييه، فهو من المحسنين.

قلت: إن قلبي يهفو إلى لقاءكم ورؤيتكم.

قال: عفواً لا أستطيع أن أجلس معكم أكثر من هذا الوقت.

ونفض الشيخ ودلف إلى دار الداخلة بعد أن دعا لنا، وذهبت أنا إلى حرم الشفيع يوم

القيامة، أسد الله.

وفي اليوم التالي لهذه زيارة سألت أحد العارفين، عن تفاصيل حياة هذا الشيخ العظيم،

فذكر لي إن شهرة الشيخ جاءت بسبب أموال الهند^(١) فالناس اجتمعوا حوله بسبب وصول هذه

الأموال بين يديه وإلا فإن الشيخ مهدي أكثر منه علماً وأحواله أفضل.

زيارة الشيخ مهدي سلمه الله:

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارة شيخ العارفين الشيخ مهدي سلمه الله تعالى وتعرفت عليه

أكثر، وبعد جلوسنا قال:

وإن كنت عندي من الأشخاص المحترمين، ولكن ارتداء هذه العباة حرام عليك، ولو كنت

مكانك لألقيت بها بعيداً، ولحطمت كؤوس الشاي تلك.

قلت: شيخنا إن هذه اللوازم نستعملها لكي نعلمي بها عيون الأعداء.

قال: لا والله إنها يقيناً حرام.

وبعد ذلك جرى بيننا الحديث حول المجتهدين، فسأله طرفة:

شيخنا كم عدد الطلبة في النجف الأشرف، وكم عدد المجتهدين من بينهم؟

قال: أنهم بحسب السجل سبعمائة طالب من العرب، وألف وثلاثمائة من العجم، وأن

مئتين منهم بمستوى الاجتهاد، ليس لهم نظير في بلاد العجم، وإذا ادعى أحد وجود مثلهم

(١) أموال الهند هي أموال وقف إسلامي يُعرف بـ(أودة) في الهند وكانت ترسل إلى العراق وكانت أمواله توزع

على الفقراء والمعوزين، وعلى طلبة العلوم الدينية، وقد استمرت هذه الأموال فترة طويلة، وأوجدت نوعاً من

الجدل في الأوساط العلمية في العراق، ومن العلماء والطلبة من امتنع عن قبولها، أو أخذها أو توزيعها.

لكن فيما نقله صاحب الرحلة من قول أحدهم فيه من الإجحاف بحق الشيخ الشيء الكثير، فالشيخ مرتضى

الأنصاري أشهر من نار على علم في العلم والفضل، وما زالت كتبه لحد اليوم مدار البحث والتدريس في

الحوزات العلمية في كل مكان، وليس لشهرته وذبوع صيته علاقة بأموال الهند، ولعل صاحب الرحلة اشتبه في

نقل مفاد كلام من سأله عن العلمين الكبيرين.

فليثبت ذلك.

فقال طرفه: نلتمس منكم يا شيخنا أن لا تُرسلوا أحداً منهم إلى بلاد العجم، واحتفظوا بهم هنا، ولكم المنّة بذلك على إيران.

فقال: لماذا؟

فقال: إن اجتماعهم في إيران سيكون سبباً للنزاع والصداع، فضحك الشيخ من قوله، وانتقل بنا الحديث إلى موضوع آخر.

[ليلة الجمعة ٢٦ ربيع الثاني ١٢٧٣ هـ]

وادي السلام:

تحركنا في ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٢٧٣ هـ لزيارة أهل القبور في وادي السلام، حيث خرجنا من الباب الكبيرة، وتقع على اليسار ثكنة عسكرية للجنود تتصل بأحد أطرافها بجدار القلعة، يقيم فيها الجنود حيث يتواجد فيها على الدوام حوالي الثلاثمائة عسكري.

بعد الخروج من الباب تقع إلى مسافة خمسمائة قدم مقبرة وادي السلام، وهي في باطنها عبارة عن الجنة الخالدة التي تسكنها أرواح المؤمنين، وفي ظاهرها ليس هناك مقبرة في الربع المسكون من الأرض بمثل جلالها وعظمتها، وفيها تقع مقبرة هود وصالح حيث يقعان تحت قبة واحدة ويرقدان في قبرين متجاورين.

وبعد قراءة الفاتحة والزيارة الخاصة بأهل القبور، ذهبنا إلى مقام صاحب الأمر عليه السلام، ومن هناك ذهبنا إلى ساحل البحر للتفرج عليه، ونزلنا في إحدى المزارع مع المرافقين وتناولنا (الحسن) وهو من النوع الجيد، ثم عدنا إلى المدينة ودخلنا من الباب الصغير المقابل للبحر، وذهبنا من هناك إلى مقام سيد الساجدين عليه السلام المجاور للصافي صفا.

الصافي صفا:

يقع الصافي صفا على يمين الداخل إلى المدينة من جهة الباب الصغير (البحر)، وهو يتعد عن الباب بجوالي المائتي قدم، وهو ملتصق بجدار القلعة، ولم يكن الجدار في السابق ملتصقاً بصافي صفا فكان كل من يجلس فيه يستطيع مشاهدة البحر والصحراء أمامه، بل إن قصر النعمان بن المنذر المعروف باسم الخورنق يمكن رؤيته من هناك بواسطة الناظور، ولكن في الوقت الحالي تم تشييد الجدار أمام صافي صفا.

وفي ممر ضيق داخل الصفة، يوجد قبر لأحد ملوك اليمن^(١) أوصى أن يدفن هناك وذلك قبل أن تُعمر مدينة النجف الأشرف وقبل أن يدفن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام. وتبلغ المسافة من صافي صفا إلى البحر ألف وخمسمائة قدم، وفي المكان بساتين عددها حوالي الخمسين إلى ستين بستاناً، وفواكه تلك البساتين لا مثيل لها في كل مكان.

بعض أوضاع النجف:

قام المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني ببناء سور النجف، ويبلغ ارتفاع الجدار المقابل لمسجد الكوفة اثنا عشر ذراعاً، والذي يقع في جهتي وادي السلام والبحر يبلغ أحد عشر ذراعاً، أما محيط السور حول المدينة فيبلغ أربعة آلاف قدم^(٢).

ويبلغ عدد البيوت في النجف حوالي ألفين وسبعمائة منزل صغير وكبير، وفيها ثلاثمائة دكان، وألف مصنع لصناعة العباءة، وللمدينة سبعة حمامات هي: حمام أمين الدولة، حمام ميرزا يوسف نواب الهندي، حمام الحاج حسين النجفي، حمام الهندي، حمام علي وهو من الحمامات القديمة، حمام السيد هاشم، وحمام الحاج حسن، وأحسن هذه الحمامات هو حمام المرحوم أمين الدولة.

أما عدد المساجد في المدينة فهي كما يقول سماحة الشيخ مهدي، أربعمائة مسجد، وسبب كثرة المساجد في المدينة هو أن الناس في الأزمنة الماضية لم يكن يجرأون على استخدام التربة في

(١) هذا المرقد يعود لرجل يمانى أوصى أن يدفن في الغري، فدفن فيه بمحضر من الإمام علي عليه السلام، هكذا قال الشيخ محمد حرز الدين في كتابه مرآة المعارف ج: ٢، ص ٣٨٢، ويعرف المرقد أحياناً بمرقد الصفا، ويقع مرقد اليوم على الحافة الغربية لمدينة النجف الأشرف المطل على بحر النجف من الجهة المقابلة للصحن الحيدري الشريف.

(٢) يقول الشيخ محبوبية في كتابه ماضي النجف وحاضرها عن هذا السور والسبب في بنائه: (كاتب علماء النجف أشرف الرجال وأهل الخير في إيران وغيرها، فانتدب لهذا لمشروع المهم وعزم على تحصين البلدة بأحسن من حصنها الأول والآثار الجليلة الصدر الأعظم نظام الدولة الحاج محمد حسين خان العلاف الأصفهاني وزير فتح علي شاه القاجاري، فبنى هذا السور الحصين وشيد أركانه وحفر خلفه خندقاً عميقاً وأقام فيه الأبراج المكتنفة بالمعاقل والمراصد والمخافر وجعل له في طبقاته ثقوباً ومنافذ متقاربة مختلفة في الصغر والكبر لوضع فوهات المدافع والبنادق عند الحاجة، وكان ابتداء بنائه سنة ١٢١٧هـ وتمامه سنة ١٢٢٦، وذكر الشيخ محبوبية نقلاً عن كتاب جام جم أن نفقات بناء السور والمدرسة بلغت ٩٤ ألف تومان اشرفي مثقال، ويقول أيضاً أن التومان الأشرفي من الذهب يقرب في الوزن من الليرة الذهبية العثمانية. للمزيد انظر: جعفر الشيخ باقر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، ج ١ ص ٢١٢، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

المساجد للسجود عليها في الصلاة، ولذلك لجأوا إلى إقامة مساجد صغيرة في منازلهم يصلي فيها الثلاثة أو الأربعة أشخاص، وقد كان العثمانيون عندما يرون أحداً يسجد على التربة يسحقون رأسه بأقدامهم حتى يبقى أثر التربة على جبهته.

صحن أمير المؤمنين:

يلغ طول صحن أمير المؤمنين اثنان وسبعون ذراعاً، وكذلك العرض أيضاً، وللصحن الشريف أربعة أبواب:

باب الطوسي، وهو الباب المقابل لإيوان الذهب^(١)، وكتيبة الإيوان هي من الذهب أيضاً، وفوق تلك الباب توجد ساعة كبيرة جداً يسمع رنينها كل أهل النجف، والباب الثانية هي الباب الشرقية المقابلة لسوق بائعي العباءات (العبايجية)، والأخرى باب القبلة، والرابعة هي الباب الشمالية.

عندما تدخل إلى الصحن المطهر من باب الطوسي يواجهك إيوان الذهب، ويقع أمام الإيوان حوض ماء مشهور باسم حوض الكوثر، وكان في السابق يتصل بقناة ماء، حيث كان على الدوام مملوء بالماء، ولكن هذه القناة أصبحت مطمورة، ويوجد وسط الحوض أربعون مصباحاً من النحاس.

والإيوان والمنارتين والقبة المطهرة كلها مكسوة بالذهب، وقد كساها نادر (شاه)، وقمة كل من المنارتين منحرف يراهما الجميع، وقد تم تخريب القمتين وإعادة بنائهما لكنهما بقيا على هذه الحالة، وأصبح واضحاً للناس أنهما يبقيان بهذه الحالة حتى لو أعيد بنائهما ألف مرة، لأنهما يميلان احتراماً للرسول الأعظم فهما يقابلان الحرم النبوي الشريف. عندما تدخل من الباب الأول يقابلك الرواق، وقد شاهدنا هناك شيئاً غريباً وهو أنه بعد انتهاء صلاة المغرب يجتمع هناك حوالي الألف شخص أو أكثر من الطلبة من بينهم حوالي الثمانين مجتهداً، حيث يجلسون هناك كل ليلة للتباحث العلمي والدرس، وقد انتفخت أوداجهم من الصراخ، وهم يضربون

(١) باب الطوسي هو الباب الشمالي للصحن الشريف، والباب الذي يقابل إيوان الذهب هو الباب الشرقي الكبير الذي يقابل السوق الكبير، وهو موجود إلى اليوم في محله وفوقه الساعة المعروفة، ولعل المؤلف اشتبه في أسماء البابين فوضع أحدهما في مكان الآخر، ويذكر المرحوم الشيخ جعفر محبوبية في كتاب ماضي النجف وحاضرها، أن على إيوان كتابات بالعربية والفارسية ومنها القصيدة المعروفة بـ(هراس ومماس) وتاريخ الخط هو سنة ١١٥٦ هـ باسم الخطاط محمد جعفر الأصفهاني، انظر: الشيخ جعفر الشيباني باقر محبوبية، ماضي النجف حاضرها، الجزء الأول، ص: ٥٢ و ٥٣، طبعة دار الأضواء، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ (المترجم).

بأيديهم غير آبهين للمكان المقدس الجالسين فيه، وأن الإمام حي، وأن عليهم أن لا يرفعوا أصواتهم بحضوره، إن الضجيج الذي شاهدناه هناك يفوق ضجيج سوق الهرج ببغداد^(١).

وينفتح من الرواق إلى داخل الروضة المطهرة بابان يفضيان إلى القبر الشريف من جهة تحت القدمين، القسم السفلي من الضريح مصنوع من الفضة، أما الضريح نفسه فهو مصنوع من الفولاذ، ويستقر داخل الضريح صندوق من الخشب ومكان الأصبعين موجود على شكل محراب، وتوجد السيوف والخناجر المرصعة بالألماس معلقة هناك، ومن المشهور أن آدم ونوح^(٢) عليهما السلام مدفونان في نفس الضريح.

توجد داخل الضريح القناديل الكبيرة المصنوعة من الذهب والفضة وعددها حوالي الثمانية عشر قنديلاً، ولكن القناديل الصغيرة كثيرة لا تحصى، كما توجد عدد من القناديل البرونزية التي تتدلى من سقف الرواق، أما الخزانة فهي محفوظة في مكان خاص، وتوجد نسخة من موجوداتها في إيران، ولكن يبدو أن لا أحد يعرف موجوداتها.

هناك نسخ كثيرة من القرآن الكريم، ومنها ما هو مكتوب بخط أمير المؤمنين، والإمام الحسن عليهما السلام، وهما مجودان داخل الضريح، أما بقية النسخ فهي موجودة في المكتبة، وهي مثبتة في سجل لدى الشيخ محمد حسن بن محمد إبراهيم أرباب.

وعندما تدخل من باب القبلة يوجد على جهة اليسار حوض ماء وبئر حفره نجيب باشا والي بغداد، حيث يؤخذ الماء من البئر ويملأ الحوض ليتوضأ منه الناس^(٣).

(١) كان الصحن العلوي الشريف من أهم الأماكن التي يجري فيها التباحث العلمي بين طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف بسبب قلة الأماكن الواسعة والمناسبة للدرس حينذاك، وبسبب ازدحام المكان بالطلبة للمعلمين والمتعلمين وجلوسهم مجموعات مجموعات متقاربة مع بعضها كانت الأصوات تختلط وتتداخل مما يدعو كل واحد منهم إلى رفع صوته لسمعه زميله ويعرف ما يقول، وفي وصف صاحب المذكرات للحالة فيه من التجني الشيء الكثير، وإلا فهم أفضل منه يعرفون قدسية المكان، ويرون أنهم يقومون بعمل مقدس لا غضاضة فيه وهو أخذ العلم لهداية الناس.

(٢) ورد في زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام (السلام عليك وعلى ضجيعك آدم ونوح).

(٣) جاء ذكر هذا الباب وتاريخ بنائه في كتاب ماضي النجف وحاضرها، فقد ذكر أن عبد الباقي العمري أرخ لإنشاء هذا الحوض من قبل نجيب باشا بالقول:

أجبري محمد نجيب الوزير حوضاً
ومن جرى يبغي مجارة له
لساقي الحوض يحكي الكوثرا
بحلبة يرجع عنه الفهري
تاريخه (هذا أرق ماجري)

(سنة ١٢٦١هـ) انظر: ماضي النجف وحاضرها: نفس المصدر السابق.

ويتصل الرواق من جهة الرأس بجدار الصحن الشريف، ويوجد هناك ممر ضيق مسقف (الساباط)، يحتوي على حجرات، وبعد عبور غرفتين توجد هناك تكية البكتاشية التي يجتمع فيها عدد من الدراويش الذين تُنفق عليهم الدولة العثمانية، وهناك يجلس المرشد الذي يدعى (دده).

القبور التي في الصحن:

عندما تدخل من باب الشارع يوجد من جهة اليمين قبر (تاج الدولة)، ومقابل قبر (الحاج الميرزا هادي الجواهري) الساكن في بغداد حيث أعد لنفسه مقبرة هناك، وفي الغرفة الثانية من جهة اليمين هناك قبر (الميرزا أبو الحسن خان ايلجي)، وفي جهة اليمين من الضلع الثاني توجد غرفة يقع فيها قبر (شاه خليل المحلاتي وزوجته).

القبور التي في الرواق:

أوصى المرحوم الشاه عباس أن يُدفن واقفاً تحت قدمي الإمام (عليه السلام)، فنفذوا وصيته، ولكن السادن رأي أمير المؤمنين في المنام يقول له: أضجعوا ولدي، فأضجعوه وسط الباب، وهناك حجرة خاصة على جهة اليمين يقع فيها قبر (آقا محمد خان) و(والدة فتحعلي شاه) وإلى جانبها هناك غرفة دُفن فيها (حسين علي ميرزا) حاكم فارس وأولاده، وإلى جانبه قبر (الحاج محمد مهدي والحاج مير محمد حسين) إمام جمعة أصفهان.

وبعد ذلك يأتي قبر (الحاج محمد إبراهيم القزويني)، و(مجتهد أصفهان)، وبعد تلك الغرفة هناك قبر (خان بابا خان الرئيس) الذي توفي أثناء حكمه لكرمان.

القبور خارج الصحن:

هناك قبر السيد باقر القزويني ويقابله قبر الشيخ محمد حسن^(١) وقد أشادوا فوق كل قبر بقبة كبيرة خضراء^(٢)، وهناك أيضاً قبر السيد محمد مهدي بحر العلوم وابنه السيد محمد رضا والشيخ محمد (بن الحسن) الطوسي، وفوق المقبرة توجد قبة مكسوة بالكاشي الأخضر، أما قبر آصف الدولة فهو في بيته حيث يطل على مسجد الطوسي من شباك هناك.

مدارس النجف

المدارس العلمية في النجف هي:

(١) يقصد بها مقبرة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (رض) جد أسرة آل الجواهري في النجف الأشرف، ويقع مرقده إلى جانب مسجده المعروف باسمه في أحد أزقة شارع الإمام زين العابدين (عليه السلام)، مقابل مقبرة آل القزويني.

(٢) مرادهم موجودة في الجامع المعروف بجامع الطوسي.

مدرسة الصدر الأصفهاني^(١)، وفيها قبره وقبر أمين الدولة، وتقع بالقرب من باب النجف، وهناك مدرسة قريبة من باب الصحن تعرف بالمدرسة الصغرى، ومدرسة الشيخ جعفر، ومدرسة ضياء السلطنة، هي غير كاملة البناء.

[الاثنين ١ جمادى الأولى ١٢٧٣هـ]

زيارة مسجد السهلة:

في غرة جمادى الأولى يوم الاثنين ١٢٧٣هـ عند طلوع الشمس تشرفت بزيارة أمير المؤمنين ثم عدت إلى المنزل، ومن هناك تحركنا إلى السهلة.

عند باب السور تسلّم المرافقون الأسلحة، وازدحم علينا الفقراء والأيتام فأعطيناهم ما نستطيع، وزرنا السيد محمد وفاطمة أولاد سيد الساجدين، ووصلنا إلى أرض مرتفعة دفن فيها أربعون من صحابة الإمام منهم كميل بن زياد^(٢)، ولما تحركنا من هناك لاح لنا قبر ميثم التمار فزرناه، وبعدها ذهبنا إلى مسجد الكوفة، وبتنا ليلة في المسجد ومعنا محمد إبراهيم أرباب وولديه، وفي الصباح زرنا مسلم (بن عقيل) وهانئ (بن عروة)، وأدينا أعمال مسجد الكوفة مرة أخرى.

[الأربعاء ٣ جمادى الأولى ١٢٧٣هـ]

وفي مساء يوم الأربعاء الثالث من جمادى الأولى تحركنا نحو مسجد السهلة، وقبل وصولنا إلى المسجد عرجنا على مسجد صعصعة وأدينا الأعمال والدعاء فيه، ثم ذهبنا إلى مسجد زيد، ومن هناك ذهبنا إلى مسجد (الحنّانة)^(٣)، فأدينا الأعمال، ثم وصلنا إلى مسجد السهلة، فقرأنا

(١) قال عنها الشيخ محبوبة: (هي أقدم المدارس الحاضرة اليوم وأوسعها، وفيها ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد، موقعها السوق الكبير، وهي إلى سور البلدة أقرب منها إلى الصحن الشريف، وكان ابتداء تشكيلها بعد الفراغ من بناء السور الحاضر، ولم تزل مزدهية بأهل العلم ورجال الدين) ومؤسس المدرسة وبانيها هو الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني، صاحب المآثر الجليلة في أغلب العتبات المقدسة في العراق وإيران، وكان يشغل منصب الصدارة للسلطان فتح علي شاه القاجاري. انظر: ماضي النجف وحاضرها: مصدر سابق، ج ١ ص: ١٢٨.

(٢) مرقد كميل بن زياد، مرقد معروف ومزار مشهور في النجف الأشرف، يقع إلى يسار الذهاب من النجف الأشرف إلى الكوفة، وقد دخلت عليه في السنوات الأخيرة أعمال التوسعة، وصار مدفنًا للكثير من العلماء والوجهاء، وفيه مقبرة الخطيب المعروف العلامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، ومقبرة آية الله الشيخ محبي الدين المامقاني (رحمة الله عليهم أجمعين).

(٣) مسجد الحنّانة، يقع بين البيوت الآن في حي معروف باسم حي الحنّانة نسبة إلى المسجد المذكور، وقال الشيخ محمد حرز الدين في مرقد المعارف عند الحديث عن مرقد كميل بن زياد (رض)، إن في الثوبة كان بناء يسمى القائم، انحنى عندما مروا بسببها الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فسمى بالقائم المنحني، ثم صار يعرف بالحنّانة، وذكر عدة روايات في وجه هذه التسمية.

إذن الدخول إلى المسجد ثم دخلنا.

يوجد في وسط المسجد مقام، كل من صلى فيه يوم الثلاثاء بين المغرب والعشاء دعا فيه تستجاب دعوته، ويبقى حياً إلى السنة الأخرى، بل يزداد في عمره سنتين حسب ما ورد في الحديث، وهو أمر تمت تجربته.

ويقع في كل جهة من الجهات الأربعة للمسجد مقام، الأول هو مقام النبي إدريس وتُستحب فيه الصلاة ركعتين مع الدعاء، والثاني مقام إبراهيم الخليل، والثالث مقام داود، والرابع مقام الصالحين، وفي كل مقام تستحب الصلاة ركعتين مع الدعاء، وفي جهة القبلة يقع مقام صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه، ومقام سيد الساجدين عليه السلام، وهناك أيضاً صلينا ودعونا.

وقد قامت بتشيد مقام صاحب الأمر السيدة والدة (آقا خان المحلاتي).

وبعد إتمام الأعمال في مسجد السهلة، عدنا إلى مسجد الكوفة، وتبلغ المسافة بين المسجدين حوال نصف فرسخ، وقضينا الليل في مسجد الكوفة.

وبعد ساعتين من انبلاج صباح اليوم التالي توجهنا إلى مرقد النبي يونس عليه السلام، وقد جددت بنائه السيدة والدة (آقا خان المحلاتي) أيضاً، ومن هناك ذهبنا إلى (مجدم)، الشط، وهناك ودعنا محمد إبراهيم أرباب وولديه، وأكثرنا ركبين، واحدة لحملنا مع المرافقين والأخرى لنقل الأمتعة والخدم.

ذي الكفل:

لم تكن الرياح مناسبة، لذلك وصلنا إلى قريب ذي الكفل وقت غروب الشمس، وهناك وجدنا ماء النهر كثيراً واسعاً كأنه البحر، وكان المنظر مبهجاً فمن جهة كانت شمس المغرب تنعكس على صفحة الماء ومن الجهة الأخرى كانت صورة قلعة ذي الكفل تنعكس على سطح الماء، وكان الوقت شروق الشمس، وبتنا تلك الليلة في منزل من المنازل المعمولة من الحصير، وتحركنا صباحاً لزيارة ذي الكفل.....

